صفحة من تاريخ العلاقات السعودية البريطانية: مشروع اتفاقية الدفاع المشترك (١٩٤٨)

أ. د. احمد عبدالرحيم مصطفى*

بريطانيا وابن سعود

تنبهت بـريطانيـا إلى صعود نجم عبـدالعزيـز آل سعود منـذ استيلائه على الإحسـاء في عام ١٩١٣ ووصول أملاكه إلى شواطىء الخليج العربي. وكـان ابن سعود منذ عام ١٩٠٦ قد أبدى رغبته في الدخول في نظـام «المهادنة» الذي فرضته بـريطانيا على منطقة الخليج، بمعنى أن يقبل مندوبا سياسيا بريطانيا وينضم إلى الترتيبـات البريطانية الخاصة بالقرصنة وتجارة الرقيق والحرب البرية والبحرية ويتعهـد بعدم التخلي عن أي جزء من أراضيه لدولة أخـرى غير بريطانيا ويقبل إشراف بريطانيا على علاقاته الخارجية. إلا أن بريطانيا آثرت ـ قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ـ ألا تلتزم بشيء، وذلك بسبب اتجاهها إلى عدم التورط في الشؤون الـداخلية لشبه الجزيرة العربية وتكريس اهتمامها لسواحل الخليج، خاصة وأنها لم تكن تود إغضاب الدولة العثمانية التي كانت تعتبرها صـاحبة السيـادة على نجد، ونتيجـة لذلك اضطـر عبدالعـزيز لأن يـوقع معاهـدة مع الحكومـة العثمانية (١٥ مايـو ١٩١٤) وذلك لخشيته أن يهاجم الأتـراك أراضيه من ناحيـة البحر انتقاماً منه لطرده حامياتهم من الإحساء.

وبعد نشوب الحرب خطبت كل من بريطـانيا والدولة العثمانية ود ابن سعود وطـالبته بتعزيز مجهودها الحربي. إلا أنه آثر الميل إلى بريطانيا التي أبدى لها استعداده للارتباط الكامل بها بشرط أن تحميه من الغزو التركي من ناحية البحر وأن تسري شروط الاتفاقية بعد انتهاء الحرب وأن تقوم بـريطانيـا بدور الحكم في حـالة نشـوب أي نـزاع بينه وبين أمـراء سواحل الخليج. وفي خـلال المفاوضـات التي جرت بين الطرفين أصر عبدالعـزيز على بعض التحفظات التي تطلق يـديه في العمل بحيث كـانت معـاهـدة دارين «الموقعـة في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥» (١) أكثـر معـاهـدات

١ ـ عن هذه المعاهدة والمفاوضات التي جرت بشأنها راجع:

–Troeller, The Birth Of Saudi Arabia Frtrk Cass, Lonon {1976}, chap. III, PP.74- 117.

- Busch, Britain, India and the Arabs .1914- 1921, {University Of California Press, 1971} PP. 234-5.

بريطانيا الخليجية مرونة خاصة وأنها اختلفت عن هذه المعاهدات من الناحية العملية إلى حد كبير ولم ترسم حدوداً لأملاك ابن سعود. فقبل ذلك كانت اتفاقيات بريطانيا مع مشايخ الخليج لاتلزمها إلا بالتدخل في المنازعات البحرية، ولكن ارتباطها الجديد مع ابن سعود أقحمها في شؤون وسط الجزيرة العربية وبذلك سجل تحولا مهما في سياسة بريطانيا التقليدية. وبمقتضى اتفاقية دارين اعترفت الحكومة البريطانيا بأن نجد والإحساء والقطيف وجبيل وما لهذه المناطق من موان على ساحل الخليج من ممتلكات ابن سعود وورثته. كما اعترفت به حاكما مستقلا لقبائل هذه المنطقة وتعهدت بمساندته في وجه أي تدخل أو اعتداء خارجي وبألا تكون هذه المنطقة موضع بحث عند تقسيم الإمبراطورية العثمانية وأن تدفع له معونة شهرية وتقدم له الأسلحة. وفي مقابل ذلك تعهد ابن سعود من جانبة بألا يتخلى عن أو يرهن — أي جزء من أراضيه أو يبيع أي امتياز لأي دولة أجنبية إلا بموافقة الحكومة البريطانية وبألا يهاجم حلفاءها أو يساعد أعداءها ولو أنه لم يلزم نفسه بالاشتراك الفعلي في العمليات العسكرية.

وقد سجلت معاهدة دارين بدء التحالف البريطاني ـ السعودي، وإن لم يبذل عبدالعزيز جهداً حربيا فعالاً لمساعدة بريطانيا خلال الحرب، خاصة وأنها رمت بثقلها إلى جانب منافسة الشريف حسين بن علي الذي قاد الثورة العربية ضد الدول العثمانية بمساعدة بريطانيا مما جعل دور ابن سعود ثانويا بالنسبة إلى جهود وأهمية منافسه الهاشمي. وبانتهاء الحرب بدأت متاعب الشريف حسين مع بريطانيا نتيجة للخلافات التي نشبت بينهما حول تفسير الوعود التي قطعت له خلال الحرب ـ فقد اعترفت به بريطانيا وحلفاءها ملكا على الحجاز، في الوقت الذي أصبح فيه ابنه فيصل ملكا على سوريا. أما عبدالعزيز فقد قرر الاعتماد على نفسه فضم عسير في عام ١٩٢٠، ثم قضى على إمارة آل رشيد في حائل في عام ١٩٢١ وضمها إلى أملاكه، وفي العام التالي ضم الجوف الواقعة في أقصى شمالي شبه الجزيرة العربية. وفي تلك الأثناء قضى الفرنسيون على مملكة فيصل في الشام ـ وحتى تحافظ بريطانيا على سمعتها في العالم العربي، ورغبة منها في جعل الهاشميين نقطة ارتكاز لنفوذها في المنطقة، قررت في عام ١٩٢١ تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق وتنصيب أخيه عبدالله أميراً على شرق الأردن ـ وبذلك أصبحت أملاك عبدالعزيز عرضة للتطويق الهاشمي من الشمال والغرب. مما مهد السبيل للصدام بين آل سعود والهاشميين خاصة وأن معاهدة لوزان التي سوت المشكلات المرتبطة بانهيار الإمبراطورية العثمانية تجاهلت شبه الجزيرة العربية، في الوقت الذي لم ترسم فيه اتفاقيات الانتداب على كل من العراق وشرق الأردن حدودا لكل منها. ولتسوية مشكلات الحدود توسطت بريطانيا في عقد مؤتمرين في عام ١٩٢٢ أولهما في الكويت لم يصل إلى نتيجة تذكر والثاني في العقير. وفي المؤتمر

الأخير قام سيربرسي كـوكس ـ الذي اشترك في المؤتمر بصفته حكما ـ برسم الحدود بين نجد وكل من العراق والكويت، وهي الحدود التي لاتزال قائمة حتى الوقت الحاضر.

وفي صيف عام ١٩٢٤ بدأ الصدام بين نجد والحجاز، وهو الصـدام الذي التزمت بريطانيا الحياد إزاءه مع محاولتهـا القيام بالـوساطة بين الطـرفين المتنازعين. وحين بدا لها فشل وسـاطتها سعت إلى تأمين مواصـلاتها في الشرق الأوسط بتأكيد سيطـرتها ـ من خـلال إمارة شرق الأردن ـ على معان والعقبة. لهذا وجهت تحذيرا إلى ابن سعـود حتى لايحتل هذين المركزين الهامين ويهدد إمـارة عبداللـه. وحين بدا أن الحجـاز يوشك أن يسقط في يـد ابن سعود قـررت بريطـانيا بـدء المفاوضات لحسم الحدود بين نجد وشرق الأردن والمشاكل القـائمة بين نجد والعراق ـ وفي أواخر عام ١٩٢٥ تم توقيع اتفـاقيتي حداء وبحرة اللتين توصلتا إلى تسويـة نهائية لمشاكل الحدود بين كل من العراق وشرق الأردن وبين العـراق، كما تم اقناع ابن سعود بالتخلي عن معـان والعقبة. وفي ديسمبر ١٩٢٥ دخل ابن سعود جدة وبعد يومين أعلن انتهاء الحرب الحجازية ـ النجدية ـ وكان الملك حسين قد تنـازل عن الحكم لابنه علي الذي مالبث أن أطاح بـه انتصار ابن سعود، ثم لجأ إلى أخيه فيصل في العـراق. وفي ٨ ينايـر ١٩٢٦ أعلن أعيان الحجـاز ولاءهم لابن سعود ونصبوه ملكـا على الحجاز وسلطانا لنجـد وتوابعها، وخلال الشهـور الثلاثة التاليـة اعترفت به بريطانيا وفـرنسا والاتحاد السوفياتي وهولنده. وفي ٢٠مايـو ١٩٢٧ وقعت معاهدة جدة بين ابن سعود وبريطـانيا. وقد ألغت هذه المعـاهدة اتفاقية ١٩١٥ واعترفت «بـالاستقلال التام المطلق لممالك صـاحب الجلالـة ملك الحجـاز ونجـد وملحقـاتها»(مـادة ١) وفيهـا تعهـد ابن سعـود بالمحافظة على الصلات الودية والسلميـة مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الذيـن لهم معاهدات خـاصة مـع حكومة صـاحب الجلالة البريطـانية (مـادة ٦). كما نصت المعاهدة على أن «يسود السلم والصداقة بين صـاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. ويتعهد كل من الفـريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخـر وبأن يسعى بكل مالديه من الـوسائل لمنع استعمال بلاده قاعـدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر» (مادة٢)(١).

١ـ ألغت معـاهدة جدة معاهـدة دارين، ونصت على أن يعمل بها لمدة سبع سنوات ابتداء من تاريخ إبـرامها وعلى بقائهـا نافذة إذا لم يعلن أحد الفـريقين المتعاقدين الفـريق الآخر، قبل انتهاء السنـوات السبع بستة أشهر، أنه يـريد إبطال المعاهدة وعلى عدم اعتبارها باطلة إلا بعـد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه إبطالها من أحد الفريقين إلى الفريق الآخر.

العداء الهاشمي ـ السعودي :

ورغم الصداقة التي قامت بين عبدالعزيز وبريطانيا فإنه أعتقد أنها كانت تفضل عليه الهاشميين الذين لم يغفروا له هزيمتهم على يديه، وكان لايزال يراودهم الأمل في تأليب القبائل عليه بهدف فصل الحجاز عن أملاكه(١) تمهيدا لضعضعة قوته ثم القضاء عليه في النهاية وتركزت شكوك عبدالعزيز ومخاوفه على العراق أقوى الدولتين الهاشميتين. وربما كانت مخاوف عبدالعزيز وشكوكه من الأسباب التي جعلته في عام ١٩٣٣ يمنح امتياز التنقيب عن النفط في أملاكه لشركة ستاندرد أوف كاليفورنيا الأمريكية لا إلى شركات انجليزية، مما آذن بازدياد النفوذ الأمريكي بالتدرج في المملكة العربية السعودية(٢) على حساب النفوذ البريطاني، ولو أن المملكة العربية السعودية حافظت على مطلق حريتها في التعامل مع البلدان الأخرى واتباع سياسات لاتتمشى باستمرار مع أهداف أمريكا أو بريطانيا في الشرق الأوسط. وفي خلال الحرب العالمية الثانية أبدى عبدالعزيز تعاطفه مع الغرب، خاصة وأنه كان يتلقى المساعدات المالية من كل من بريطانيا والولايات المتحدة.

وقد حاولت بريطانيا في أواخر مراحل الحرب أن تتبنى مشروع توحيد العرب بشرط أن يقوموا من جانبهم بالترتيبات الخاصة بتنفيذ الوحدة العربية. وحينئذ بادر عبدالله بن الحسين إلى التطلع إلى توحيد سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين فيما عرف باسم مشروع سوريا الكبرى(٣) في حين تقدم السياسي العراقي نوري السعيد بمشروع الهلال الخصيب الذي كان يهدف إلى توحيد سوريا والعراق باعتباره نواة للوحدة العربية الشاملة. وقد لعب مشروعا سوريا الكبرى والهلال الخصيب دورا هاما في المشاورات التي تمخضت عن قيام الجامعة العربية ـ فقد عبر الوفد السعودي عن رأي الملك عبدالعزيز الذي أبدى استعداده للتعاون مع سائر البلدان العربية في المسائل الاقتصادية والثقافية مع تأجيل البحث في موضوع التعاون السياسي إلى أن تتغير الظروف القائمة، وأبدى حرصه في نفس الوقت على النظام الجمهوري القائم في كل من

١ـ راجع بحث الدكتورة فتوح الخترش عن حركة حامد بن رفادة.

٢ـ راجع كتابنا: الولايات المتحدة والمشرق العربي «الكويت ١٩٧٨) الفصل الأول.

٣ـ عن تفصيلات هذا المشروع راجع بحثنا «مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية» حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ الحولية الخامسة ـ الرسالة الثالثة والعشرون «١٩٨٤م ـ ١٤٠٤هـ».

ومن أسباب اهتمام ابن سعود بمشروع سوريا الكبرى أنه كان يعتبر وادي سرحان التابع للأردن جزءا من أملاكه وأنه كان حريصا على سلامة خط التابلاين وأنه كان عليه أن يتفاوض حول رسوم المرور وعقد اتفاقية عامة حول مرور النفط إلى صيدا. ومما يجدر ذكره أن اتفاقية التابلاين لم توقع إلا في صيف عام ١٩٥٠.

سوريا ولبنـان وذلك رغبة منه في عرقلة سيطـرة الهاشميين على المشرق العربي. والتقت اتجاهات ابن سعـود مع اتجاهـات مصر التـي أدركت أن مصلحتهـا القـوميـة تقتضي حصـار الهاشميين والحيلولة دون ظهور كتلة إقليمية من القوة بحيث تسعى إلى عزلها وتحديها في المشرق العربي ومن ثم عملها على الحيلـولة دون وقـوع سوريا تحت طـائلة نفوذ بغـداد أو عمان، خاصـة وأن فاروق ملك مصر كان يتطلـع إلى زعامة العـرب وتكريس سيطـرة مصر على الجامعة العربيـة، ومن ثم اعتراضه على المشروع الذي وجد فيـه خطرا على طموحاته وعلى زعامة بـلاده للوطن العربي. أما سوريـا فإن نتائج انتخـابات يوليـو التي فازت فيهـا الكتلة الوطنيـة بزعامـة شكري القـوتلي قد سجلت ضربـة قويـة لطمـوحات الهاشميين. وكـان القـوتلي، الذي تـولى رئاسـة الجمهوريـة السورية، قد أقام علاقة وثيقة مع آل سعود نتيجة للوكالة التجارية التي اضطلعت بها أسرته في دمشق لحساب السعـوديين. كما سعى إلى حماية الجمهورية السـورية الوليدة من حكم عبـدالله الذي ارتبطت بلاده ببريطـانيا بالتزامات حـدت من حريتها وسيادتها وأبـدى هو وزعماء الكتلة الوطنيـة خشيتهم من أن تسري هذه الالتـزامات على سوريـا ولبنان، ومن ثم تمسكهم بـالنظام الجمهوري وبـدمشق عـاصمة لدولتهـم. وهكذا تـوطدت العلاقـات بين ابن سعـود والقوتلي وفاروق بحيث تشكلت في داخل الجامعـة العربيـة جبهة مناوئة للهـاشميين (١) فسرتها الدوائر العراقيـة على أنها محاولة مـن جانب مصر والسعـودية لعـزل العراق. كما قام الملـك عبدالعـزيز بتـوزيع الأموال على بعض الـدروز وزعماء القبائل بهدف دعم المعـارضين للمشروع في سوريـا، ولفت نظر المسؤولين البريطانيين إلى «معلومـات يعتد بها» مفادها أن حكام شرق الأردن والعراق يبذلـون كل ما في وسعهـم لتشكيل كتلـةعربية شماليـة تضـم سوريـا والعراق وشرق الأردن، وأن خروج مثل هذه المشروعات إلى حيز التنفيذ يشكل تهديداً له، وأضـاف أن مصدر قلقه هو سلوك بعض الموظفين البريطانيين الذين كانوا يساندون الحركة بانفاق الأموال وجعل النـاس يعتقدون أن الحكومة البريطانية تعضدها. إلا أن الحكومة البريطانية نفت وجود أي تآمر من جانب موظفيها لإنجـاح حـركـة سـوريـا الكبرى، وعـزت شكـوى ابن سعـود إلى مخططـات الـرئيس شكـري القوتلي. (٢)

١ـ شهد عام ١٩٤٥ اقتراحا بقيام تحالف بين مصر والسعودية وسـوريا إلا أن بريطانيا اعترضت عليه باعتباره يشكل محورا داخل الجامعة العربية.

[F.O. 371\ 52426, no. 129 jedda to F.O. dated 3-4-46]

2- F.O 371\ 52355, F.O. to jedda, dated 18- 9- 46.

أرنست بيفن ومشروعات الدفاع المشترك :

وكان قيام محور الرياض ـ القاهرة ــ دمشق في مواجهة محور بغداد ــ عمان الهاشمي من الأسباب التي أدت إلى شلل الجامعة العربية بحيث خابت الآمال التي علقتها بريطانيا عليها ـ فبدلا من توفيرها إطارا لتكتيل المشرق العربي تحت النفوذ البريطاني أضحت سجلا للخلافات المتزايدة بين الهاشميين وخصومهم . لهذا آثرت بريطانيا أن تتولى بنفسها مباشرة مسؤولية الدفاع عن مصالحها وجعل مشروعاتها الاستراتيجية تتمحور حول سلسلة من المعاهدات الدفاعية الثنائية بينها وبين كل دولة عربية على حدة . وفي أكتوبر ١٩٤٦ عقد **أرنست بيفن** ــ وزير الخارجية العمالي البريطاني ــ مؤتمراً واسع النطاق حضره القادة العسكريون والدبلوماسيون والمستشارون العاملون في حقل الشرق الأوسط وبلغهم بأن تعديل خطط بريطانيا الأمبراطورية يقتضي سحب القسط الأكبر من القوات البريطانية من الأراضي العربية في مقابل أن توقع الدول العربية معاهدات تضمن للقوات البريطانية العودة في حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم ، ولو أن حكومة العمال أبدت من ناحية أخرى كل الدلالات على تمسكها بالمواقع البريطانية التقليدية التي جعلت بريطانيا تنفرد جيلا من الزمان بالهيمنة على شؤون الشرق الأوسط . وقد أوضح **بيفن** خطته الخاصة الدفاع عن الشرق الأوسط على الوجه التالي (١) :

«يجب تصور الدفاع عن الشرق الأوسط في إطار مشترك يؤكد المسؤوليات المشتركة لكل دول الشرق الأوسط في أن يلعب كل منها دوره في التصور الاستراتيجي بما يتناسب مع وضعه . ولكن حتى نكون على يقين بصدد أي تسهيلات محددة نحتاجها وبأي خدمات محددة تقدمها كل دولة على حدة ، فمن الواجب أن تنص على ذلك اتفاقية ملزمة بين المملكة المتحدة والدولة المعنية . وقد لايتحمس العرب إلا لخطة دفاع مشترك ضخمة وفعالة تعقد بين الدول العربية مجتمعة وبين المملكة المتحدة . إلا أننا نخشى ألا تتمخض المفاوضات الجماعية عن شيء . ونحن لانرغب في التفاوض مع الجامعة العربية بهذا الصدد لأنها منقسمة على نفسها بصدد الشؤون العربية العامة باستثناء ما يتعلق منها بمصر وفلسطين . ونحن غير متحمسين لعمل شيء من شأنه أن يؤدي إلى استدامة وجود هذه الجامعة . يضاف إلى هذا أن الشعور القومي العربي سيؤثر في أي نوع من المفاوضات المشتركة ، وستشعر الدول الصديقة بأنها ، لمسائل تتصل بالكبرياء ، ملزمة بأن تتخذ منا موقفا تحدده الأغلبية أو أقوى الدول سياسيا . أما الدول الساعية إلى التهرب من مسؤولياتها أو التي قد نطالبها بتسهيلات خاصة . . . . . فبإمكانها رفض مطالبنا بأن تذهب إلى أن نظام الدفاع المشترك يلغي الترتيبات الفردية . وحتى يحين وقت حسم

1- F.O 141\1170, no.2003 F.O.to Cairo, dated 29- 10- 47.

المشكلة الفلسطينية فمن المحتمل ألا يمكننا إجراء محادثات دفاع مع العرب دون مساس بموقفنا المحايد بين العرب واليهود».

وقد آثر بيفن تسوية العلاقات المصرية ـ البريطانية بادىء ذي بدء لما لذلك من تأثير على الدول العربية الأخرى. إلا أن المفاوضات المصرية ـ البريطانية تعثرت بسبب إصرار المصريين على الجلاء الناجز ووحدة وادي النيل ـ ومن ثم اتجاه بيفن إلى التوصل إلى ترتيبات الدفاع المشترك مع دول عربية أخرى ــ وفي مارس ١٩٤٦ وقعت بريطانيا مع شرق الأردن معاهدة شبيهة بالمعاهدة المصرية ـ البريطانية الموقعة في عام ١٩٣٦ والمعاهدة البريطانية ـ العراقية الموقعة في عام ١٩٣٠. وقد نصت المعاهدة الأردنية ـ البريطانية على «التعاون في الدفاع المشترك» في حالة الحرب أو التهديد بالحرب وعلى السماح للقوات البريطانية بالبقاء في الأراضي الأردنية وقت السلم والحرب على حد سواء. مع قيام ضباط بريطانيين بمواصلة تدريب الجيش الأردني الذي كان يتلقى معونة من الحكومة البريطانية. (١) ثم فضل بيفن إنهاء المفاوضات مع العراق قبل أن تستأنف المفاوضات المصرية ـ البريطانية.

معاهدة بورتسماوث «جبر ـ بيفن»:

وقد اقترح العراق وجوب وضع خطط الدفاع عن الشرق الأوسط على أساس مفهوم المسؤولية المشتركة بين دول المنطقة وبين بريطانيا ـ فأكد رئيس الوزراء العراقي صالح جبر أن الدفاع عن العراق لايمكن أن ينفصل عن الدفاع الاستراتيجي عن الشرق الأوسط ككل، وحث على أن تدرس بريطانيا مسألة تنسيق الدفاع عن المنطقة وأن تعد كل الدول العربية للاشتراك فيه، ووعد في حالة تعاون بقية دول الشرق الأوسط بأن يلعب العراق دوره. ويرجع الحاح الحكومة العراقية الشديد على قبول مبدأ المسؤولية المشتركة في الدفاع عن الشرق الأوسط إلى إحساسها بالحرج الشديد نتيجة لكون العراق «بالإضافة إلى الأردن» هو الذي كان يواصل منح تسهيلات عسكرية خاصة لبريطانيا في الوقت الذي أنهت فيه دول عربية أخرى، أو كانت تحاول إنهاء مثل هذه الترتيبات الخاصة المعقودة مع بريطانيا وفرنسا ــ هذا في الوقت الذي آثرت فيه بريطانيا تجنب الإشارة إلى الجامعة العربية خشية المزايدات التي كان من المتوقع أن تتخذ شكلا معاديا لبريطانيا بسبب متاعبها في فلسطين.

١ـ جرى تعديل هذه المعاهدة بعد سنتين، ونص التعديل على تحديد تحريك القوات البريةوالجوية البريطانية في وقت المسلم.

وفي ١٠ ينـاير ١٩٤٨ جـرى التوقيع على المعـاهدة البريطـانية ــ العراقيـة الجديدة في ميناء بـورتسماوث البريطـاني. وكانت هـذه المعـاهـدة تنص على التحالف بين الطـرفين على أسـاس استقلال العراق التام والمسـاواة بين الطرفين ـ وبمقتضاها تعهد الطـرفان بأن لا يقوم أحدهما في سياسته الخارجية بعمل لايتمشى مع التحالف أو قد يخلق صعوبات للطرف الآخر. كما نصت، في حـالة اشتراك أحـد الطرفين في حـرب، على أن يبادر الطـرف الآخر إلى مسـاعدتـه بمقتضى الدفاع المشترك وتخلت بـريطانيا للعراق عن مطاري الحبانيـة والشعيبة في أوقات السلم، على أن يتقـرر استعمالهما بـالتنسيق الـذي تضطلع بـه هيئة دفـاع مشترك، كما تقـرر أن تبقى هيئـة فنيـة بريطـانية في العراق للتأكـد من فعاليـة تشغيل المنشآت والعتاد وأن يـواصل العراق الاعتماد على بـريطانيـا وحـدهـا فيما يتعلق بالتـدريب العسكـري والأسلحـة . ورغم ذلك فحين نشر نص المعاهـدة في ١٦ ينايـر ١٩٤٨ أثار مظـاهرات حـادة في بغداد وغيرهـا من المدن العراقيـة سقط خلالها بعض الضحايا ـ وفي ٢٧ يناير قدم صالح جبر استقالته ولم يجرؤ مسؤول عراقي على إبرام المعاهدة.

ولم يتردد «الملك»(١) عبـدالله في لفت نظر بيفـن إلى تأثير مصر والصحافـة المصرية السيء على الموقف في العراق وذهب إلى أن الجامعة العربية كانت من وراء المتـاعب القائمة بين بريطانيا ودول الشرق الأوسط. ورغم أن بيفن وافقـه على ملحوظتـه الخاصة بمصر، إلا أنـه، فيما يتعلق بالجامعة العربية، أقـر حتمية نوع ما من الوحدة بين الدول العربيـة واقترح قيام نوع من التعاون بين الأردن والمملكة العـربية السعوديـة، وذلك لأنه كـان يرى أن تفوق مصر في شـؤون الجامعة راجع إلى خشية كل من السعـودية وسوريا لمخططـات الملك عبدالله واعتقادهما بأنهما ملـزمتان بتبرير مسـاندة مصر لحمايتهما ــ فإذا ما اختفت هـذه المخاوف لن تكـون لدى أعضـاء الجامعة العربيـة الأخرى حاجـة للتسليم بزعامة مصر، بحكم أن الـدول الأخرى ستكون في هـذه الحالة قادرة تماما على الـوقوف على أقدامها وأن تحكم على كل مسألـة حكما مجردا. كما كان بيفن يعتقد أن انعـدام العـلاقـات الطيبـة بين «أخلص أصـدقـائنـا في الشرق الأوسـط» (أي ابن سعـود وعبدالله») كان يشكل عـائقا تجب ازالته ـ فإذا ما أمكنهما أن يتعاونـا تسنى لهما مقاومة« أولئك الذين يودون استخدام الجامعة العربية لخدمة مصـالحهم بوجه عام وتعكير صفو العلاقات بين بريطانيا والدول العربية بوجه خاص.»(٢) ولم يدرك بيفن أن صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين في نـوفمبر ١٩٤٧ قـد أدى إلى إزديـاد شكـوك مصر والسعـوديـة في أن الملك

١ـ تحولت شرق الأردن طبقا لمعاهدة ١٩٤٦ من إمارة لمملكة.

2- F.O. 816\ 112, no. 76, Bevin to Kirkbride, dated 7-2-248.

عبدالله يود استغلال الموقف لصالحه بضم القسم العربي من فلسطين، ولو أن ممثل بريطانيا في جده عزا معارضة ابن سعود للتقسيم إلى خشيته أن يتمخض عن نمو قوة الهاشميين بتوسعهم على حساب فلسطين. أما الحكومة البريطانية فقد اعتقدت أن معارضة ابن سعود للتقسيم ليست من القوة بمكان وكذلك الحال بالنسبة الى سوريا ولبنان وشرق الأردن ومصر والعراق وأن حكومات هذه البلدان ـ باستثناء السعودية ـ لم تكن من القوة بحيث يمكن للمعارضة الداخلية أن تتهمها بخيانة القضية العربية وبالتالي كان يمكنها أن تطيح بها. (١)

ابن سعود والدفاع المشترك:

وقد أثر مصير معاهدة بورتسماث تأثيراً سلبيا على المفاوضات التي جرت لإقناع الملك عبدالعزيز بالموافقة على توقيع معاهدة دفاع مشترك. فهو باديء ذي بدء كان يرى أن بريطانيا قد منحت أشكالاً مختلفة من المساعدة العسكرية للأردن والعراق، عدويه التقليديين، وأن من قبيل الإنصاف أن تقدم له نفس المساعدة (٢). ولو أنه من ناحية أخرى شكا من نقض العراق للوعد الذي سبق له أن قطعه للجامعة العربية حين عقد اتفاقيات ــ ومنها اتفاقه مع الأتراك ـ دون التشاور مع أعضاء الجامعة الآخرين. كما شكا من الصعوبات التي يواجه بها العراق وقدم للسفير البريطاني قصاصات من الصحف البغدادية الصادرة منذ وقت قريب ليثبت أن العراق لايزال يهاجمه. (٣)

وكانت اقتراحات بريطانيا فيما يتعلق بالاتفاق الجديد مع المملكة العربية السعودية تنص على أن تتعهد هي في مقابل التسهيلات الاستراتيجية التي توفرها السعودية بمساعدتها في ظروف معينة على الوجه الذي لايفرض عليها أن تطالب ابن سعود بوجود هيئة تشغيل بريطانية في أوقات السلم مع احتمال أن تطلب منه ــ حين نشوب الحرب ـ أن تستعمل موانيه ومطاراته وكذلك التسهيلات التي تؤكد صيانتها بما فيه الكفاية في أوقات السلم. وحين استطلعت بريطانيا رأي واشنطن بشأن مشروع المعاهدة كان رد هذه الأخيرة أنها ترى أن عقد معاهدة مع السعودية ـ بعد التوصل إلى اتفاق مع العراق ـ سيكون له أثر فعال لدى المصريين فيما يتعلق بإعادة النظر في المعاهدة المصرية ــ البريطانية، وأن المعاهدات التي تتمشى مع هذه الخطط

1- Cabinet Papers,127\180, copy [Secret] memorandum on Arabjewish Relations, dated 30-7-46.
2- ibid, 21\2086 [[Top secret], Cos 268 {o} dated 22-12-47. note by the secretary {Ministry Of Defenct}, and Annex of a letter from F.O. to the Secretary of the chiefs of staff committee, dated 17- 12- 48.
3-F.O 905 ,78.no.16.Jedda to F.O. dated 16-1-48.

العامة بين بريطانيا والدول العربية تنسق مع مصلحة الولايات المتحدة(١). كما أبدت واشنطن مشاركتها لبريطانيا في الرغبة في المحافظة على أمن الشرق الأوسط والدفاع عن استقلال كل دول المنطقة، بما فيها السعودية، وتمامية أراضيها، وبالتالي فإنها أبدت عطفها على الترتيبات الأمنية التي كان يجري التشاور بشأنها بين السعودية وبريطانيا وفق الشروط الآتية:

١ـ أن تعتبر الحكومة السعودية مثل هذه الترتيبات في مصلحتها.

٢ـ ألا تتنافى هذه الترتيبات مع الاتفاقية الأمريكية ـ السعوديةالخاصة بقاعدة الظهران. (٢)

٣ـ ألا تعرقل مثل هذه الترتيبات التطور الحر للعلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين الولايات المتحدة والسعودية.

٤ـ أن تتمشى مثل هذه الترتيبات مع ميثاق الأمم المتحدة(٣).

أما مكتب الشرق الأوسط البريطاني في القاهرة فقد اقترح خلال المفاوضات أن تقصر بريطانيا التزاماتها في أي معاهدة على الحالات التي تتعرض فيها السعودية أو الأردن للهجوم، على اعتبار أنه كان لايمكن تجاهل احتمال نشوب القتال بين هذين البلدين ولأن بريطانيا قد توضع في موقف حرج إذا ما قامت السعودية ـ مثلا ـ باحتلال معان والعقبة ـ وفي مثل هذه الحالة يكون بإمكان الحكومة الأردنية أن تذهب إلى كونها قد هوجمت وأن تطلب مساعدة بريطانيا، في الوقت الذي قد تطلب فيه الحكومة السعودية المساعدة نفسها على اعتبار أنها أصبحت «مشتبكة في حرب»(٤).

وأخيراً تبلور مشروع المعاهدة البريطانية ـ السعودية على الوجه التالي:

١ـ إذا ما أدى خلاف بين الطرفين المتعاقدين ودولة ثالثة إلى نشوء موقف يتضمن احتمال

1- Ibid no .27, F.O. to jedda (Tosecret),dated 17-1-48.

نصت هذه الاتفاقية على أن تتمتع الولايات المتحدة بمطلق السيطرة على قاعدة الظهران الجوية حتى مارس ١٩٤٩ «أي بعد مضي ثلاث سنوات من اكتمالها في ١٥ مارس ١٩٤٦ ـ وبالتالي فإذا ما قررت الحكومة السعودية رغبتها في تشغيل القاعدة بنفسها أو أن تتسلمها من الأمريكان، فإنها تلتزم بعدم تأجيرها لأي طرف ثالث لمدة عشر سنوات. وكان السبب في إدراج هذا الشرط أن الحكومة الأمريكية كانت قد أنفقت أموالا طائلة في بناء المطار وأن الكونجرس كان لابد وأن الكونجرس كان لابد أن يرفض تأجيره بصورة مباشرة لأي طرف آخر.

F.O.905\78,no.27,F.O. to Jedda, dated 20 - 1- 48 and no. 30 , Jedda to F.O.
F.O., dated 22 -1- 48 and despt. dated 20-11-48.

3-F.O1 905\79, enclousre in no.. 39 dated Jedda, 26- 2- 48 and copy Jedda aide- memoire.

4- F.O. 905\78,no.4 BMEO to jedda, dated 81- 1- 48.

قطع العلاقـات مع هذه الدولة ينسق الطـرفان المتعاقدان فيما بينهما لحسم هـذا الخلاف بالطرق السلمية وفقا لميثاق الأمم المتحدة وأي التزامات أخرى صالحة للتطبيق .

٢ـ أما إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب فعلى الطـرف الآخر أن يبادر إلى مساعدته من قبيل الـدفـاع المشترك . وفي حالـة تهديـد داهم بنشـوب الحرب يبـادر الطرفـان إلى تنسيق إجـراءات الدفاع .

٣ـ لاشيء في المعاهدة يمس الحقوق والالتزامات المترتبة على ميثاق الأمم المتحدة بالنسبة إلى أي من الطرفين أو على أي مواثيق أو معاهدات دولية قائمة .

وحين اكتمل مشروع المعاهدة السعودية ـ البريطانيـة كان يكاد يشبه معاهدة بورتسماوث مع اختلافات شكلية بسيطـة(١) . وفي الوقت الذي كان فيه السفير البريطـاني يستعد لمغادرة جدة إلى الرياض تـرامت إلى المملكة العربية السعوديـة أنباء الأحداث الداميـة التي جرت في بغداد ، وجعلت الملك عبدالعـزيز يحجم عن المصادقة على مشروع معـاهدته مع بريطانيـا لما يكتنفه من تعقيدات . في الوقت الذي اعتبر فيه أحداث العراق دليلا على أن الشعوب العربية ككل ترفض مثل هذه الترتيبات الدفاعية(٢) ـ إذ إن المصريين كـانوا هم الآخرون قد رفضوا مشروع صدقي ـ بيفن المشابه بعد أن شهدت القاهرة هي الأخـرى أحداثا لاتقل عنفا عما شهدته بغداد . وصرح ابن سعود للسفير الأمريكي بأن مشروع المعاهدة السعودية ـ البريطانية كان أشبه ما يكون بتنازله عن سيادته وأنه شديد الشبه بالمعاهدة العـراقية المرفوضة . ولكنه أعرب له عن أمله في أن تستمر الصداقـة الوطيدة القـائمة بين السعودية وكل من بـريطانيا والـولايات المتحدة من أجل الـدفاع والمساعدة المتبـادلين . ثم قدم الأمير فيصل إلى السفير البريطاني في جدة مـذكرة الملك(٣) التي أشـار فيهـا إلى أن علاقـاتـه مع الحكـومـة البريطانيـة ستستنـد إلى الصـداقة دون حـاجـة إلى معاهدات ، وإلى أنـه قد تعاون مع بريطـانيا في الماضي بغض النظر عن أي معاهـدة . وتطرقت المذكـرة إلى معاهـدة جدة بـاعتبـارها أسـاسا للعـلاقـات بين البلدين أوضحت أن القصـد من المراجعات التي قام بها هو «تسهيل الدفاع عن بلادنا والمحافظة على الأمن الداخلي وذلك بتوفير السلاح الحديث والمهمات العسكرية التي تستلزمها بـلاد واسعة الأطراف كبلادنا وذلك أسوة بما تقـدمه الحكـومـة البريطـانية للبـلاد المجـاورة» . وعبرت عن أمل عبـدالعزيـز في أن «تستعمل

1- F.O. 905\78,no.30,Bevi to Jedda, dated 21- 1- 48 and no. 1 date 1-4- 48.

2- F.O. 905\79,no. 37 Jedda to F.O. , dated 31 -1-48 and no . 43 dated 1-2-48. also despt. from Jedda dated 5-2-48 and no. 26 frol Jedda of the same date.

3- Ibid, no. 39, jedda to F.O. dated 26 - 2- 48.

الحكومة البريطـانية نفوذها الطيب لـلإبقاء على السلم وحسن التفاهم مع من لها عـلاقة به من الحكومـات المجاورة»، وأشارت إلى تعـاونه مع الحكومـة البريطانية خـلال الحربين العالميتين في سبيل استتبـاب الأمن في الشرق الأدنى ودفع الأخطار عنـه وأكدت الصـداقة المتينة التي تـربط الملك بالحكومة البريطانية. وقد فهم السفير البريطاني مما صرح له به الأمير فيصل بعد أن سلمه المذكرة أن الملك كان ضد أي شكل من أشكال المعاهدات حتى ولو وقعت معاهدات مع بلدان عربية أخرى(١).

أما السفير البريطاني فقد حاول أن يفسر لحكـومته رفض الملك السعودي للمشروع بأسباب أخرى منها قصر الوقت مـا بين إعلان المقترحات البريطانية وبين تقديم مشروع المعـاهدة ـ فقد تـرامى إلى سمع الملك السعودي أن المحـادثات الخاصـة بـالمعاهـدة البريطانيـة ـ العـراقية قـد استغرقت مـدة تزيـد على ستة شهـور، ومن ثم إحساسـه بأنه عومل بقـدر من الاحترام يقل عما حظي به العـراقيون(٢), وأعاد السفير إلى الأذهان أن سير أنـدرو رايان Andrew Rayan قـد أجرى مفـاوضات استغـرقت أكثر من عامين (١٩٣٤ـــ ١٩٣٦) من أجل تمديد أجل معـاهدة جدة. كما أشـار إلى أن عداء عبـدالعزيز لـلأسرة الحاكمة في شرق الأردن والعـراق قد شكل كل وجهات نظره الخاصة بالمعاهدة للدرجة التي أثارت دهشته وكان يصعب إدراكها على من لم تتح لهم فرصـة الإصغاء إلى تصريحات الملك السياسيـة في الماضي القريب(٣). هـذا إلى اعتقاده بأن الملك يتردد باستمـرار في توقيع التزامـات رسمية طويلـة المدى كالمعاهـدات، خاصة وأنـه كان يعتبر نفسه عربيا بسيطا يعرف من هم أصدقاؤه الذين عليه التمسك بهم وأنه ينفر من الغموض القانوني والخلافات التـي تستغرق وقتا طويلا حول الكلمات والصيغ وأن إدراكـه لعقلية رعاياه، وخصوصـا «العلماء» من رجال الدين الـذين كان يحرص على استطلاع آرائهم كل أسبـوع: كان يقوى نفوره من مثل هذه المعاهدات. وشك السفير في احتمال أن يكون الملك قد وقع تحت تأثير حملة منظمـة لإفشال تـوقيع المعاهدة شنهـا مستشاروه وأشخاص آخـرون منهم وزير الـداخلية

1- Ibid, no .48, Jedda to F.O. dated 2-2-48.

٢ـ أبدى الملك عبدالعزيز آل سعود نفوره الصريح من أن يعـامل على قدم المساواة مع العراقيين، وعبر عن انزعاجه من فحوى البنود الاستراتيجية وتفضيله توسيع صلاحيـات البعثات العسكرية والجوية والموجودة في المملكة في ذلك الوقت خاصة أنه أبدى موافقتـه المبدئية على قبول الأسلحة التي كان البريجادير بيرد bairdقد أشار إلى صـلاحيتها دون أن تكون جديدة تماما. أيضا

(Ibid, no. 43 dated 1-2-48.)

F.O. 905\ 78, Jedda to F.O., dated 29-1-48.

3- F.O.905\ 79, no. 26. {top secret}.A.C. Trott to bevin, dated 5-2-48

السوري محسن البرازي والشيخ جمال الحسيني «وكانا في الرياض في ذلك الوقت» ـ هذا على الرغم من أنه لم يعر التفاتا إلى آراء الحاج عبدالله فلبي ـ مستشار الملك عبدالعزيز البريطاني ـ الذي كان يعتبر المعاهدة البريطانية ـ العراقية الجديدة شديدة التعسف والإضرار بالعراق ويردد ذلك في كل مناسبة وذلك على اعتبار أن الملك لم يكن يقيم وزناً كبيرا لآرائه(١). أما مستشار الملك فؤاد حمزة ـ فقد كان شديد الحذر، في حين لاحظ السفير البريطاني أن الأمير فيصل لم يكن شديد الحماسة للمعاهدة. وكان حافظ وهبه ـ السفير السعودي في لندن ـ قد نصح السفير بأن يؤكد للملك أنه سيعامل على قدم المساواة مع العراقيين، ومن ثم كان مشروع المعاهدة شديد الشبه بمعاهدة بورتسماوث. إلا أن هذه النصيحة قد أتت بعكس المقصود منها ـ فحين استمع الملك إلى ما قاله السفير هاجم العراقيين هجوما شديدا، وقال إنه لم يتوقع على الإطلاق أن يعامل معاملة العراقيين. (٢)

استمرار الشكوك الهاشمية ـ السعودية :

وبعد أن رفض الملك مشروع المعاهدة أعرب للسفير الأمريكي عن أن تستمر الصداقةوالتعاون بين بلده وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا دون ارتباط بأي معاهدة. كما بين له أنه يفضل ـ إذا ما كان عليه أن يعقد أي معاهدة ـ أن تكون عل نمط معاهدة جدة، وصرح بأنه قد مال إلى نوع من التحالف أو الاتفاق بين العرب جميعا وبين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا من أجل الدفاع والمساعدة المشتركة ـ هذا على الرغم من أن يقينه من مدى صعوبة التعامل مع كل العرب في نفس الوقت ومن أنه لم يكن قد توصل إلى أي خطة محدودة، وإن بدا له أن مثل هذا الحل يوفر الأمل الأمثل في قيام حلف فعال(٣). ومن ناحية أخرى طالب عبدالعزيز بتقوية جيشه بتزويده بمزيد من الأسلحة والعتاد الحربي وبتوفير بعض الضمانات ضد الهاشميين، وترك لها تقرير كيفية تلبية هذين المطلبين(٤).

وهكذا كان خوف عبدالعزيز من مخططات الهاشميين شغله الشاغل سواء خلال التفاوض مع بريطانيا حول معاهدة الدفاع المشترك أو بعد رفضه لها. ومما يدل على هذه الشكوك أن

١ـ نفس الوثيقة السابقة. عن تفاصيل علاقات فلبي بابن سعود راجع :

E. Monroe, philby of Arabia {Faber and Faber, London, 1973}.

2- . F.O. 905\ 78, jedda to F.O., dated 29- 1- 48.

3- F.O. 905\ 79, no.33. jedda to F.O., dated 26-1-48.

4- Ibid, no. 26. supra.

سوريـا ـ قبل حـرب فلسطين ـ أبدت تخوفهـا من عزم الملك عبـدالله على تحقيق مشروع سـوريا الكبرى بـدءا بضم القسم العـربي من فلسطين، في حين تخوف عبـدالله مـن طلب الملك السعـودي أن تخصص لـه منطقـة في شرق الأردن لكي يحشـد فيهـا قـواتـه استعـدادا لـدخـول فلسطين، وخشي أن يكون ذلك جـزءا من مؤامرة يـدبرها عبـدالعزيز وشكـري القوتلي لتقسيم شرق الأردن، ومن ثم استنجاده بالحكومة العراقية لكي ترسل قواتها إلى شرق الأردن لإحباط هذه المؤامرة(١). إلا أن الحكومة البريطانيـة استغلت نشوب حرب فلسطين بين العرب واليهود لكي تتوصل إلى مصالحة بين عبدالعزيز وعبدالله. وكان من نتيجة ذلك أن قام العاهل الأردني بزيارة إلى السعوديـة استغرقت أربعة أيـام (٢٧ـ ٣٠ يـونيه ١٩٤٨). وقد شعـر السفير البريطاني بأن الزيارة قـد أصابت نجاحا كبيرا، إذ رحب بها الـرأي العام في جدة، بل في كل المملكـة العربية السعـودية وتنبأ بأن يكـون لها أثر ممتـاز بالنسبـة إلى مستقبل المملكة، ودلل على ذلك بأن أحـد التجار الحجازيين ممن دأبوا على توجيه النقد إلى النظام السعودي صرح له بأن الزيارة قد وضعت حداً للاتجاه الساعي إلى فصل الحجاز عن نجد، وبالتالي فإنها ستفسح المجال لتطور البلاد على أساس سليم من الوحدة. وقد رجح السفير أن تكون دوافع الزيارة كالآتي:

١ـ إدراك ابن سعود أن بريطانيا تسعى إلى مصالحة هاشمية ـ سعودية.

٢ـ طـالب عدد من رجـال القبائل بـالتوجه إلى فلسطين، إلا أن غمـوض موقف الحكـومة الأردنية حتى ذلك الوقت قد حال دون رحيلهم.

٣ـ احتمال أن يكـون الملك عبدالعـزيز قـد أحس بتقدم سنـه وخشي أن تدركـه الوفـاة قبل عبدالله الذي قد يتخذ مع الملك السعـودي الجديد فيما يتعلق بالحجـاز موقفا أشد صـلابة من موقفه مع عبدالعزيز ـ وبالتالي فإن مثل هذه المصالحة المبكرة توفر ضمانا ضد هذا الاحتمال.

٤ـ إحسـاس ابن سعود بضعف قـواته المسلحـة، وبخاصـة إذا ماقـورنت بالفـرقة العـربية «الجيش الأردني».

٥ـ تـوقع عبدالعزيـز أن تؤدي المصالحة إلى تلقيه أسلحـة وعتاد ومدربين انجليـز لجيشه ثم لقواته الجوية.

٦ــ احتمال أن تكون حـرب فلسطين قـد أدت إلى هذا التحـول ــ فربما أدرك ابن سعـود أن احتمال توسع الملك عبدالله صوب فلسطين وسوريـا يفوق احتمال توسعه صوب الجنوب ـ ومن ثم ما استنتجـه السفير من أن ابن سعود قـد لايهتم بذلك جـديا إذا مـا حدث طـالما ترك الملك

١ـ خيرية قاسمية، فلسطين في مذكرات القاوقجي، جــ٢ «منظمة التحرير»

عبدالله الحجاز وشأنه(١). ومن هذا المنطلق كان بيفن يسعى إلى أن تعزز الحكومة المصرية المصالحة السعودية ــ الأردنية وأن تشجع ابن سعود على الموافقة على استيلاء شرق الأردن على القسم العربي من فلسطين حيث إن ذلك لايتضمن خطراً على مصالح ابن سعود أو أي دولة عربية أخرى(٢).

إلا أن هذه التوقعات البريطانية كانت من قبيل الإفراط في التفاؤل ـ فقد ازدادت مخاوف ابن سعود بعد أن ضم الملك عبدالله الضفة الغربية وتعرضت سوريا للانقلاب العسكري التي كانت تنذر بانضمام سوريا إما إلى العراق أو إلى شرق الأردن. لهذا سعى إلى تسخير نفوذه داخل صفوف الجيش السوري وخارجه لعرقلة المشروعات الهاشمية مما آذن بفشلها خاصة وقد وقفت مصر إلى جانب السعودية وتصدت للمشروعات الهاشمية. وفي محادثة جرت بين ابن سعود والسفير الأمريكي في ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ تعرض الملك للصعوبات التي كان يواجهه بها الهاشميون وبخاصة فيما يتعلق بمشروع الاتحاد بين سوريا والعراق، وطالب الحكومة الأمريكية بأن تضمن تمامية حدود السعودية علنا. وكان رد السفير «ريفز تشايلدز» "Rives childs" أن حكومته كانت قد بلغت العاهل السعودي شفهيا بأنها تعتبر تمامية حدود دولته مسألة شديدة الأهمية بالنسبة إلى مصالحها وأنها ستعتبر أن أي اعتداء عليها عملا غير ودي ـ إلا أنه تملص من الإدلاء بهذا التصريح علنا. (٣) أما الحكومة البريطانية فقد بلغت حكومة الولايات المتحدة بأنها سبق لها أن أكدت للحكومة السعودية في أغسطس ١٩٤٩ أنها ستسخر نفوذها للحيلولة دون لجوء دولة شرق أوسطية إلى القوة ضد دولة أخرى. وأبدت واشنطن استعدادها لأن تؤكد أنها ستواصل توضيحها للدول العربية المعنية أنها تعتبر أي دولة بعمل عدائي ضد دولة أخرى مناقضا لسياسة الحكومتين الغربيتين ولاستقرار المنطقة ولمبادىء الأمم المتحدة. (٤) وقد بحث مؤتمر ممثلي الولايات المتحدة في الشرق الأدنى المنعقد في استنبول في أواخر عام ١٩٤٩أ حسن سبل تهدئة مخاوف ابن سعود المستمرة من التطويق وجرى الاتفاق فيه على أن يعمل السفراء الأمريكان في الدول المجاورة على الحيلولة دون نشوب موقف يهدد تمامية أراضي السعودية وأن يبلغوا واشنطن فوراً بنشوب مثل هذا الموقف، وذلك على الرغم من أنهم لم يتبينوا حتى ذلك الوقت وجود أي موقف من شأنه أن يبعث على قلق السعودية في المستقبل القريب أو المنظور. كما اتفق جميع السفراء الأمريكان على أن يكون هدف حكومتهم المستمر هو إنماء العلاقات الوثيقة مع السعودية بوجه خاص. (٥)

1- F.O. 141\1291, no. 130, Jedda to F.O., dated 11-7-48.
2- Ibid,no. 146, F.O. to Cairo, dated 18- 1- 49.
3- F.O. 905\87,no. 214 {Confid.} Jedda to F. O. , dated 27-11-49.
4- Ibid, no. 773 {cokfid.} F.O. to jedda, dated 4-12- 49.
5- Ibid, no. 7762 . F.O. to jedda, dated 4-12- 49.

أما الحكومـة البريطانية فقد تجنبت أبـداء أي رأي حول شكل العلاقات الـوثيقة بين العراق وسوريا اللتين كانتا تتفاوضان حول الاتحاد بعد انقلاب سامي الحناوي ـ وكانت معاهدة ١٩٣٠ الموقعة بين بريطانيا والعراق تلزم كلا من لندن وبغداد بالتشاور الكامل والصريح حول السياسة الخارجيـة التي تمس مصالحهما المشتركـة. وبين بيفن عـدم استعداده لـلاشتراك في المفاوضـات السرية الجارية بين العراق وسوريا وأنه يفضل اشتراك الحكـومة الأمريكية في الرأي قبل أن تتطور الأمور وبأن المسألـة تمس علاقـات بريطانيـا بفرنسا. وأفهم بيفـن وزارة الخارجية الأمريكيـة أنه شديد الالتزام بسياسة بريطانيـا المعلنة الخاصة بمعارضتها لاستخدام القوة في تحقيق الاتحاد بين سوريا والعـراق ولكن دون أن تعترض على أي اتفاق ناتج عن الإرادة الحرة(١). كما رفض بيفن التـدخل أو القيام بـدور الوسيط بين سـوريا والعـراق من جهة وبين الحكـومات التي تعـارض المشروع من جهة أخرى وبين أن بإمكان البلدين أن ينفذا مـا يريانه في صالحهما، على أن يمضيا في تنفيذ ما يتفق عليه بطريقة دستورية. (٢)ولكنه ـ من ناحية أخرى ـ كان يعتقد أن مخاوف ابن سعود لاتستند إلى أي أساس خاصة وأنها كـانت مطمئنة إلى أن العراق والأردن لايخططان للقيام بأي عمل ضد السعـودية وكانت مقتنعة بأن لـدى العراق من الأسباب ما يـدعوه إلى الشكوى من الدعاية العدائية والاتهامات التي توجهها السعودية ضد سياسة العراق في سوريا(٣) وكانت الحكومة البريطـانية قد أكدت لـه في أوائل أغسطس ١٩٤٩ بعد انتهاء أعمال مـؤتمر سفرائها في الشرق الأوسط، أنها تعترض بشدة على لجوء أي دولـة شرق أوسطية إلى استعمال القوة ضـد دولة أخرى وأنها بطبيعـة الحال ستسخر كـامل نفوذها لاتخاذ كل الـوسائل التي تكفل عـدم حدوث ذلك. ولم يطمئن هذا التصريح ابن سعود الذي كانت ترى الحكومة البريطانية أنه لن يرضيه أي تأكيد مالم يوفر له ضمانة عسكرية كاملة.

وعلى أي حال فقد استرسلت بريطانيـا في القيام بدور الحكم ما بين ابن سعود والهاشميين، في محاولة منها لضمان صداقـة الطرفين المتنازعين خدمة لمخططاتها في المنطقـة. إلا أن عبدالعزيز ظلت تـراوده الشكوك التي جعلتـه لايطمئن تماما إلى صـداقة بـريطانيـا ويحتاط ضـد مخططاتها بالمحافظـة على محور القاهرة ـ دمشق ـ الـرياض من ناحية وبتـوثيق علاقاته بالـولايات المتحدة الأمريكية من ناحيـة أخرى، خاصة وأن واشنطن قد أطرحت سياسة العـزلة التي سارت عليها في أعقـاب الحرب العـالميـة الأولى ورمت بثقلهـا في سيـاسـات الشرق الأوسط لكي تحافظ على مصالحها النفطية المتـزايدة ولتواجه المخططات الروسية بعد أن أحست بأن البنيـان الذي أقامته بريطانيا في المنطقة في أعقاب الحرب الإعلامية الأولى يوشك أن يتصدع.

1- F.O. 141\ 1334, no. 210, F.O. to Alexandria, dated 28- 9- 49 and no. 1677 F.O. to Cairo, dated 5-10- 49.
2- Ibid, no. 1772, F.O. to Cairo, dated 17-10-49.
3- F.O. 905\87, no. 766, F.O. to Jedda, dated 2-12- 49.

الخلاصة

ونستخلص مما سبق أن علاقـات ابن سعود ببريطانيا وهي العلاقات التي بـدأت بمعاهدة دارين «١٩١٥»، قد تطـورت طبقاً للمتغيرات التي ألمت بالمشرق العـربي. فهو يلتزم بتعهـداته دون أن يقيد يديـه في العمل، ويمضي في توسيع أملاكه دون أن يصطدم بالمصـالح البريطانية، مما جعلـه يتبوأ مكـانة رئيسيـة في سياسـات العالم العـربي وبخاصـة بعد سيطـرته على الأمـاكن الإسلاميـة المقدسـة في الحجاز، مما جعل بـريطانيـا تسعى إلى كسب وده، بعكس ما كـان عليه الحال في البداية حين سعى عبدالعزيز إلى الاحتماء بها في وجه المصاعب التي كانت تحيط بدولته الناشئة. وبين هذا وذاك نجده حريصا على عـدم التورط في سياسات الأحلاف البريطانية التي لم تجد قبـولا لدى الـرأي العـام العـربي وبخاصـة في مصر والعـراق - إذ انكشـف للعرب وجـه الاستعمار البريطـاني القبيح والدور الشريـر الـذي قام بـه البريطـانيون حين عملـوا على تسليم فلسطين لليهود. وكل ذلك مما يدل على بـراعة عبدالعزيز السياسية التي أقـامت مملكة شاسعة وعملت على المحافظة عليها دون أن يسلم قياده لهذه الدولة العظمى أو تلك.

الملحق (١)

نص مشروع معاهدة الدفاع المشترك السعودية البريطانية*

ديباجة:

المادة ـ١ :

سيكون سلام دائم وصداقة بين حكومة صاحب الجلالة البريطانيةوصاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية وتستمر محالفة وثيقة بين الفريقين المتعاقدين الساميين وتقديسا لصداقتهما وتفاهمهما الودي وعلاقاتهما الحسنة يتعهد كلا الفريقين المتعاقدين الساميين بأن لا يتخذ في بلد أجنبي أية موقف مخالف للمحالفة أو موقف قد يحدث صعوبات للطرف الآخر هناك.

المادة -٢ :

إذا نتج أي نزاع بين أحد الفريقين المتعاقدين الساميين وبين فريق ثالث وكان ذلك النزاع يؤدي إلى خطر حالة قطع العلاقات مع تلك الدولة فالفريقان المتعاقدان الساميان يتحدان معا لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية بمقتضى نصوص ميثاق الأمم المتحدة ونصوص أي تعهدات دولية أخرى قد يمكن تطبيقها على الحالة.

المادة - ٣ :

إذا اشتبك أي الفريقين المتعاقدين الساميين في حرب رغما عن نصوص المادة ٢ من المعاهدة يأتي الفريق الآخر على الفور لمساعدته كتدبر دفاع تضامني خاضع دائما لنصوص المادة ٤ من المعاهدة الحالية وفي حالة تهديد عدواني وشيك يتحد على الفور الفريقان المتعاقدان الساميان على وسائل الدفاع اللازمة.

---

* كان هذا المشروع صورة طبق الأصل من معاهدة بوتسماوث «جبر بيفن» ونصه العربي وارد في ملف وزارة الخارجية البريطانية:

F.O. 905\ 78 xc\A 29634.

المادة – ٤ :

لاشيء في المعاهدة الحالية يقصد منه أو سيقصد منه بأي حال من الأحوال الإجحاف بالحقوق والتعهدات التى تؤول أو قد تؤول إلى أحد الفريقين المتعاقدين الساميين بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو بمقتضى أي اتفاقية دولية أو اتفاقيات أو معاهدات .

المادة – ٥ :

إن المعاهدة الحالية التي ملحقها جزء منها تلغى المادة ٢ من المعاهدة المبرمة في جدة في يوم عشرين من شهر مايو ١٩٢٧ ميلادية الموافق ليوم ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية وتبقى موادها الباقية مع الكتب والمذكرات المفسرة أو غير المسرة المتبادلة في سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٣ بصدده سارية المفعول حسب ما أعد له بإجراء تبادل المذكرات بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية في المملكة المتحدة والحكومة العربية السعودية في اليوم الثالث من شهر أكتوبر ١٩٤٣ .

الملحق (٢)

مسودة ملحق

المادة ـ ١ :

(ا) يعترف الفريقان المتعاقدان الساميان بأنه للمصالح المشتركة لكليهما يجب أن يكون صاحب الجلالة البريطانية في مركز يمكنه من القيام بتعهداته بمقتضى المادة ٣ من المعاهدة .

(ب) في حالة اشتباك أحد الفريقين المتعاقدين الساميين في حرب أو في حالة تهديد عدوا يطلب صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية من صاحب الجلالة البريطانية أن يحضر فوراً إلى البلاد العربية السعودية القوات اللازمة من جميع الأسلحة ويقدمَ لصاحب الجلالة البريطانية جميع التسهيلات والمساعدة في الاراضي العربية السعودية التي في مقدوره ذلك استعمال جميع وسائل المواصلات .

(جـ) يتعهد صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية أن يمنح التسهيلات اللازمة

لبناء وصيانة مطارات ومنشآت عسكرية أخـرى تلزم لتأمين الدفاع عن المناطق الحيوية في البلاد العربية السعودية .

(و)تراجع لجنـة الدفاع المشترك المشار إليهـا في المادة ٤ من هذا الملحق الفريقين المتعـاقدين الساميين فيما يختص بتعيين الأمكنة ونـوع المطارات والمنشآت العسكرية المذكـوره في الفقرة (جـ) المذكورة أعـلاه ويكون استعمال هـذه المطارات والمنشآت العسكـرية لأغـراض مدنيـة أو تجارية خاضعا لتوصيات لجنة الدفاع المشترك .

(هـ) قـد يدعـو صاحب الجلالـة ملك البلاد العربيـة السعوديـة وحدات قـوات صاحب الجلالة البريطانية المسلحـة فتستعمل هذه المطارات والمنشآت العسكرية باستشـارة لجنة الدفاع المشترك على ضوء الظروف السائدة في ذلك الحين .

(و)يوافق صاحب الجلالة ملك البلاد العربيـة السعودية بالسماح لطائرات صاحب الجلالة البريطانية لتطير عـابرة أراضي البلاد العربيـة وحرية استعمال المطارات المذكورة في الفقـرة (جـ) أعلاه وذلك عندما تكون مارة ترانسيت .

(د) تستعمل قـوات صـاحب الجلالة ملـك البلاد العـربيـة السعـودية المسلحـة المطـارات بالاشتراك والتعـاون مع وحـدات القوات المسلحـة لصاحب الجلالـة البريطانيـة كما قد تـوجد هناك .

(حـ) لن يطلب من صاحب الجلالـة البريطانية أن يدفع أي مصـاريف عن استعمال قواته الجوية لأي مطار آخر في البلاد العربية السعودية .

المادة ـ٢ :

يقدم صاحب الجلالة ملك البـلاد العربية السعودية على مصاريف القـوات اللازمة لحراسة المطارات والمنشآت العسكرية المشار إليها في المادة١ .

المادة ـ ٣ :

ولكي تحصل القوات المسلحة للفريقين المتعاقـدين الساميين على الفعلية اللازمة في التعاون كل مع الآخر.

(١)يقـدم صـاحب الجلالة البريطـانيـة التسهيـلات المنـاسبة في المملكـة المتحـدة وفي أي مستعمرة بريطانية أو محمية تديرها حكومة المملكة المتحدة لتدريب قوات صاحب الجلالة ملك

البلاد العربية السعودية المسلحة كما توصى بذلك من وقت لآخر لجنة الدفاع المشتركة .

(٢)يوجد صاحب الجلالة البريطانية وحـدات عملية من قواته المسلحة لتعمل في عمليات تدريب مشتركة صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية المسلحة لمدة كافية في كل سنة .

(٣)يسمح صـاحب الجلالة ملك البـلاد العربيـة السعوديـة باستعمال المطـارات والمنشآت العسكرية في البلاد السعودية لغرض هذا التدريب المشترك .

ولمصالح الـدفاع المشترك للمملكـة المتحدة والبلاد العـربية السعوديـة تعين لجنة استشـارية دائمية مشتركة فورا عنـد سريان مفعول هذه المعاهدة لتنسيق مسائل الدفـاع بين حكومة المملكة المتحدة وحكومة البـلاد العربية السعودية في نطاق المعاهدة الحاليـة وهذه الهيئة التي تعرف بأنها لجنة الـدفاع المشترك الإنجلوعـربية سعوديـة تتركب من ممثلين عسكريين أكفـاء من الحكومتين بأعداد متساوية وعملها يشمل :

(ا)وضع خطط متفق عليها في المصالح المشتركة لكلا البلدين .

(ب) الاستشارات الفورية عند تهديد حرب .

(جـ) تنسيق الوسـائل لتمكين قوات أحد الفرقتين المتعـاقدتين الساميتين للقيام بـالتزاماتها بمقتضى المادة ٣ من المعـاهدة بما في ذلك تقديم التـوصيات إلى الفـريقين المتعاقـدين الساميين فيمايختص بإيجاد الأمكنـة ونوع المطـارات والمنشآت العسكريـة في المادة ١ (جـ) من هـذا الملحق الاستفادة منها للأغراض المدنية و التجارية .

(د)الاستشارة بشأن تدريب القوات العربية السعوديـة وتقديم المعدات وتقديم لجنة الدفاع المشترك تقارير سنوية على ذلك وتوصيات لحكومتي الفريقين المتعاقدين الساميين .

(هــ) الترتيبـات بخصـوص عمليـات التـدريب المشترك المشـار إليهـا في المادة ٣ من هـذا الملحق .

المادة ـ ٥ :

يوافق صـاحب الجلالة ملك البلاد العربيـة السعودية على أن يقدم إذا دعت الحاجـة وعند الطلب جميع التسهيـلات اللازمـة لتحركـات وحدات قـوات صاحب الجلالـة البريطانيـة عند مرورها ترانسيت عابرة البلاد العربية السعودية بمعداتها وعتادها .

المادة ـ ٦ :

إذا نشأ أي خلاف فيما يتعلق بتطبيق أو تفسير هـذه المعاهدة أو أخفق المتعاقـدان الساميان في تسويته بالمفاوضات المباشرة يحال الخلاف إلى محكمـة العدل الدولية إلا إذا اتفق الفريقان على طريقة أخرى لتسويته .

المادة ـ ٧ :

تبرم هذه المعـاهدة ويسري مفعولها عند تبـادل أوراق الإبرام الذي يأتي بأسرع مـا يمكن بعد التوقيع وتبقى سارية المفعول مدة عشرين سنة من تاريخ سريان مفعولها وفي أي وقت بعد مضي خمس عشرة سنة من تـاريخ سريان هـذه المعاهـدة يمكن المفاوضـة في تعديلها بطلـب من أحد الفريقين المتعاقدين الساميين وهو سبب تعاون الفريقين المتعاقدين الساميين المستمر للدفاع عن مصالحهما المشتركـة وأن مدة الخمس عشرة سنة وإذا لم تعـدل المعاهدة الحاليـة في نهاية العشرين سنة فتبقى سـارية المفعول إى أن تمضي سنة واحدة مـن بعد أحد الفريقين المتعاقـدين الساميين للآخر إعلانا بانتهائها عن الطريق الدبلوماسي .

لقـد وقع المنـدوبـون المفـوضـون على هـذه المعـاهـدة ووضعـوا اختــامهم وهم يعتقـدون صحتها .

الملحق (٢)

نص خطاب عدم مصادقة ابن سعود على مشروع المعاهدة مع بريطانيا*

---

* يوجد نص هذا الخطاب باللغة العربية في ملف وزارة الخارجية البريطانية :
F.O. 905\ 78 XC \ A 29634.

مذكرة

٢٠ربيع الأول ١٣٦٢

٣١يناير ١٩٤٨

تأكيدا للحديث الشفوي أحب أن تحيطوا الحكومة البريطانية الصديقة علماً بأن صداقتنا في الماضي كانت ولاتـزال تنطوي دائما على الإخـلاص والوفـاء كما أن صداقتهـا معنا كـذلك لم تزل سائرة على هذه الروح الطيبة .

وإنه بالرغم من أنه لم تكن هنالك معـاهدات تحالف في الماضي فإن موقفنا في الحرب العالمية الأولى والحرب العالميـة الثانيـة لاسيما في أشد الأيام حلكـة معلوم لدى الحكـومة البريطـانية ولن يكـون مـوقفنـا في المستقبل بحـول الله أقـل من موقفنـا في الماضي فإن صـداقتنـا مع الحكـومـة البريطانية أصبحت صداقة تقليدية سيتوارثها أولادنا مـن بعدنا إن شاء الله وستزيدها الأيام قوة ومتانة .

إن معاهدة جدة قد كفلت ونظمت العلاقات الودية بين حكومتينا وقد أثبتت الأيام قوة هذه المعاهدة وفائدتها والعبرة في المعاهدات هي النية الخالصة والإخلاص في التنفيذ والرغبة الصادقة في المحافظة على روحها .

إن المعاهدة التي قـدمت إلينا لاتختلف مطلقا عن المعاهدة العراقيـة الحديثة ولا يخفاكم أن وضع بلادنا السيـاسي والاجتماعي وموقعه الجغرافي يختلف تمام الاختـلاف عن الأوضاع الحاضرة في العراق وغيرها . ولذا فإني لم أر مكانا للبحث فيها لسيما بعدما وقع في العراق .

إن المراجعات التي قمنا بها إنما كـان يقصد منها تسهيل سبيل الدفاع عن بلادنـا والمحافظة على الأمن في الـداخل وذلك بتوفير السـلاح الحديث والمهمات العسكـرية التي تستلـزمها بـلاد واسعة الأطراف كبلادنـا وذلك أسوة بما تقدمه الحكومة البريطـانية للبلاد المجاورة وأن تستعمل الحكـومـة البريطانيـة نفـوذهـا الطيب لـلإبقاء على السلم وحسن التفـاهم مع من لها عـلاقـة بالحكـومات المجاورة . وإلا فإن التعاون مـع الحكومة البريطانيـة على استتباب الأمن في الشرق الأدنى ودفع الأخطـار عنـه قد قمنـا بـه بما نملكـه من الوسـائل في الحربين الماضيتين وسيكـون المستقبل خيرا من الماضي بحـول اللـه وقـوتـه . إن الصـداقـة المتينـة التي بيني وبين الحكـومـة البريطانية والتي أوثقت عراها الحوادث لن تقوى العوادي إن شاء الله على النيل منها ، وإني في الختام أؤكد لكم إني كعربي مسلم لا أنثني في كلمتي أو أخل بعهد قطعته على نفسي ، ، ،